

عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 1 / كانون الأول 2018



مدينة البصرة
عدسة أحمد - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina



ضمير الثورة المدني واستنزاف الحياة في سورية

تقدّم الثورة السورية، منذ انطلاقتها، صورة يومية دامية، لحالة متواصلة من تحوّل المدنيين إلى أهداف رخوة وسهلة، يتصيدها كل من يرفع واجهة أيديولوجية تسعى إلى إحكام السيطرة على المجتمع وقهره.

ولطالما كان المدنيون، على مدى سنوات الدم الماضية، ضمير الثورة الذي يسعى من يريدون قهر رغبة الحرية - بصورتها المؤسسة لهذه الثورة - إلى اغتياله وتغييبه، قتلاً واعتقالاً ونفيًا وتجويعاً وحصاراً، بل وإبادة، بكل معنى هذا الاصطلاح في منطوق جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية.

ولطالما كان أيضاً اغتيال النشطاء المدنيين، وقتلهم تحت التعذيب، عقيدة تتشارك في حرفيتها كل قوى القهر التي تسيطر على أجزاء من الجغرافيا السورية؛ وحقيقة أنّ نظام بشار الأسد هو القاتل الأكثر "إنتاجاً وتشغيلاً" لآلة الاغتيال والتعذيب، لامتياز تنظيمات مثل "داعش" أو جبهة النصرة - بأسمائها المتغايرة شكلاً لا فعلاً - حصانة ظل القاتل الأشرس. والواقع أنّ أسماء الضحايا تؤكد وجود تشاطر في النوايا لا يخفى على أحد بين هذه القوى؛ لتغييب كل واجهة مدنية ممكنة للثورة، وللحياة في سوريا. كيف يكون كمثال أخير، اغتيال رائد الفارس وعمود جند في كفرنبل، غير خدمة مباشرة للنظام وحلفائه الإيرانيين والروس، بإزاحة رمزية مهندس لوحات كفرنبل الشهيرة، التي تمثل بعض آخر ما بقي حياً في العلن والتحدي لضمير الثورة المدني؟

كيف يمكن لهذه الجريمة، التي يعرف أهل كفرنبل من قام بها - وقد اتهموه بها - أن تكون غير استكمال لسعار الإفناء؛ الذي يشنه الأسد، والمليشيات الإرهابية الإيرانية، والقصف البساطي الروسي؟ أو غير توأمة عملائية لقوائم الموت تحت التعذيب؛ التي يسرّبها النظام بخسة عبر سجلات القيود المدنية، لشهداء يعرف ذوهم بخبر موتهم بمحض الصدفة؟

صحيح أنّ رمزيات النشطاء المدنيين ستظلّ حاضرة، وسيجد رائد من يرث هوسه الحر بتخطيط لافتات تدين القتلة، غير أنّ هذا بات نمطاً مريراً للحياة؛ التي تقاوم قتلها بإنتاج وجودها، وإعادة إنتاجه، ضمن بيئة باتت أخبار القتل والاغتيال والموت تحت التعذيب فيها أشبه بصاعقة يعرف الجميع أنّها ستضرب مجدداً.

هو الضمير المدني لحلم الحرية السوري، صدر الثورة المكشوف لحراب استنزاف ثروته المدنية في أقبية سجون الأسد ومحارق الجثث، وفي مهمات التصفية "القاعدية"، في بيئة سياسية دولية تجاهلت وتجاهل يوماً عقيدة مناهضة الحياة في سوريا.

9 بانتظار العكاز والكرسي المدولب.. مصابون في جيش النظام

3 غنائم داعش في هجومها على بلدة البحرة

13 الجنسية التركية... «ولاء للدولة» أم «فن المكسب»

4-5 ميليشيا "الباقر" وكتائبها تتمدد في ريف حلب

14-15 انقلاب حافظ الأسد.. استنساخ الاستقرارات المزيفة

6 في معرة النعمان (200) إصابة «لشمانيا» كل شهر

19 لم يعد وزيراً.. علي حيدر، الرجل الذي باع قلبه وابنه للشيطان

8 أهل مدينة اللاذقية اليوم.. الرعب المتواصل تحت الاحتلال



غنائم داعش في هجومها على بلدة البحرة

■ محمود الراغب

في صباح يوم (24) من الشهر الماضي، شنّ تنظيم داعش -انطلاقاً من أطراف مدينة هجين الخاضعة لسيطرته شرق دير الزور- هجوماً على بلدة البحرة المجاورة الخاضعة لسيطرة "قسد"، وتمكّن خلال وقت قصير من السيطرة على أجزاء واسعة من البلدة، قبل أن ينسحب بالتزامن مع هجوم معاكس ضده بدأه مقاتلون سابقون في الجيش الحر من أبناء بلدات غرائج والكشكية وأبو حمام القريبة.

ذلك لحرمان منافسه من أي مزاعم نجاح، وكاد بهذه المخاطرة أن يفقد "صيده" الأمني خلال هجوم داعش على البحرة، الذي يرجّح المصدر أن "تحرير" هذا المسؤول الأمني من سجن "قسد" كان واحداً من أهدافه.

خلال الساعات الثلاث التي سيطر فيها تنظيم داعش على الشارع العام، حيث تقع السوق الرئيسية في بلدة البحرة، استولى التنظيم على مستودعات مواد غذائية ومستودع أدوية، وعلى قطع غيار ومعدات ميكانيكية من محلات صيانة، حملها في (30) سيارة شاحنة مختلفة النوع استولى عليها من أهالي البلدة الذين كانوا يحاولون النزوح عنها، إثر هجوم داعش. وفي مكان آخر في البحرة استعمل عناصر التنظيم آلة حفر كانت موجودة في البلدة، لاستخراج صناديق مدفونة في فناء منزل كبير كان مقراً لداعش قبل خروجها من البحرة. وبحسب شهادات الأهالي، حملت الصناديق في (3) سيارات شاحنة، دمرت طائرة مسيرة للتحالف واحدة منها، فيما انضمت الشاحنتان المتبقيتان إلى قافلة داعش الضخمة المنسحبة من البحرة إلى هجين.

كان رد فعل المقاتلين السابقين في صفوف الجيش الحر من أبناء بلدات غرائج والكشكية وأبو حمام، مثيراً للاهتمام، حيث سارع نحو (100) منهم إلى حمل السلاح، وانطلقوا في هجوم معاكس اشتبكوا خلاله مع مجموعة من داعش في أطراف غرائج، وحرروا (15) شخصاً أسرتهم من المدنيين وكانت تحاول اقتيادهم معها في طريق الانسحاب.

تكشف الاستجابة السريعة التي أبداها مقاتلو الجيش الحر السابقون، في تصديهم الشجاع لتنظيم داعش، وبأسلحة خفيفة جُمعت على عجل، عن الخطأ الكبير الذي وقع فيه التحالف الدولي، حين لم يبالي بمطالبهم أن يتولوا العملية العسكرية ضد تنظيم داعش في دير الزور، متجاهلاً حقيقة أن أبناء أي أرض هم أفضل من يحمل السلاح للدفاع عنها.

بقيادة "أبو أحمد العراقي" أحد أبرز قادة التنظيم في المنطقة المتبقية تحت سيطرته شرق دير الزور، بدأ هجوم داعش بتسلسل (3) عربات مصفحة من نوع (PANZER) ترفع أعلام "قسد"، ما ضلل عناصرها قرب نقطة عبور المصفحات، التي كانت في مقدمة رتل تألّف من عربة شاحنة نوع (TOYOTA) تحمل مدفعاً رشاشاً عيار (23) ملم، و (50) دراجة نارية تحمل كل واحدة منها عنصراً أو عنصرين من تنظيم داعش. التضليل ثم المفاجأة أربك عناصر "قسد" في خط التماس، وسهّل لقوة داعش المتسللة إكمال طريقها بسرعة وسهولة نحو بلدة البحرة القريبة، التي لم تلبث -وبدون مقاومة تذكر- أن سقط نصفها الغربي على جانبي الطريق العام بيد التنظيم، الذي توّغل أيضاً على امتداد هذا الطريق في بلدة غرائج المجاورة للبحرة.

في الدقائق الأولى لهجوم داعش على بلدة البحرة، وكما في هجمات سابقة، انهارت صفوف "قسد" وفرّ مقاتلوها المنتشرون في البلدة أمام التقدم السريع للدواعش، وهرب قائد في جهاز "استخبارات قسد" يدعى "الهافال فرحان" مع (50) تقريباً من عناصره من مبنى مدرسة يتخذونه سجيناً ومركز تحقيق، مصطحبين معهم سجيناً كانوا قد اعتقلوه في بلدة الطيانة قبل يومين من الهجوم، ويتهم السجين حسب إعلام "قسد" بقيادة خلايا أمنية لداعش في ريف دير الزور الشرقي. يفسر مصدر خاص لعين المدينة طلب إغفال هويته، إبقاء سجين على هذا المستوى في سجن ببلدة البحرة القريبة من سيطرة داعش، بما ينطوي عليه ذلك من مخاطر -بحالة تنافس بين "الهافال فرحان" مع "الهافال ماهير" الذي يقود مجموعة استخبارات أخرى من "قسد" لديها سجن ومركز تحقيق خاص بها في حقل العمر النفطي. كان الأجدى ب"فرحان" إيداع مسؤول داعش الأمني الذي اعتقله في سجن "ماهير"، لكنه رفض

وجد (3) من عناصر تنظيم داعش خلال الهجوم فرصة سانحة للفرار، فألقوا أسلحتهم واختضوا في جموع المدنيين الهاربين من بلدة البحرة.



في ريف حلب المحتل «الباقر» وشركاؤه يستبيح البشر والممتلكات

■ عدنان الحسين | كان على أبو محمد أحد العائدين إلى المناطق التي سيطرت عليها قوات الأسد ومليشياته في ريف حلب الشرقي بعد انسحاب تنظيم داعش منها، أن يراجع مقر مليشيا لواء الباقر في بلدة مسكنة (100 كم) شرق حلب، وذلك من أجل محاولة استعادة جزاره الزراعي وعدد من الآليات الزراعية الأخرى التي يمتلكها، بعد أن صادرها عناصر تلك المليشيا.

وتوفير حد من الحماية والأمان لدى بعض الشبان والعائلات، وكذلك تجنباً لالتحاق بالخدمة الإلزامية أو خدمة الاحتياط بجيش النظام، واقتصادية نتيجة ارتفاع معدلات البطالة وانهيار سوق الأعمال الحرة، حيث يشكل الانتساب إلى هذه المليشيات فرصة عمل، واجتماعية أحياناً في الحالات التي تبرز فيها بعض المجموعات العشائرية الموالية للنظام أسباب قوة ونفوذ عبر المليشيات التي تشكلها، ما يثير غيرة مجموعات عشائرية أخرى فتلجأ للأسلوب ذاته.

يشرح الناشط الإعلامي منذر أبو محمد من بلدة الخفسة في حديثه لعين المدينة، أن تكوين لواء أو مليشيا الباقر في ريف حلب الشرقي يعتمد على أمرين رئيسيين، أحدهما "الشبيحة" من أبناء العشائر بشكل عام، وعلى الفاسدين في تلك المناطق، "حتى أنه بينهم عناصر من تنظيم داعش تركوا التنظيم وانضموا لهم"، ويضيف الناشط، بأن "نشاط اللواء في التنسيب يمتد على بقعة جغرافية معروفة بأنها دون خط الفقر، ومناطق قليلة التعليم إبان حكم نظام الأسد لها، وكلها تقريباً تعتمد في معاشها على الزراعة أو العمل خارج البلاد، وهو ما ساهم

التجنيد:

يشكل "لواء الباقر" مع غيره من المليشيات، القوة الرئيسية التي يعتمد عليها النظام وحلفاؤه الإيرانيون، في مدينة حلب وريفها الشرقي والجنوبي، ويقدر أبناء المنطقة عدد المنتسبين إلى "الباقر" بأكثر من (2000) عنصر، يتوزعون على مجموعات أو كتائب، في الأحياء الشرقية لمدينة حلب، وفي مدن السفيرة ودير حافر ومسكنة. وكان التشكل الأول لمليشيا الباقر في العام 2012 على يد خالد علي الحسين، بعد مقتل والده على يد الجيش الحر في حي المرجة، نتيجة قيامه بإعدام عناصر لحر جنوب حلب، بينما تمكن خالد من الفرار لمناطق النظام مع وشقيقه، ومن هناك بدأ تشكيل اللواء.

تزايدت أعداد عناصر اللواء بعد سيطرته على مدينة مسكنة، وبلدة دبسي عفران شرقها والقرى المحيطة بها. ورفد اللواء قواته بمقاتلين جدد من أبناء هذه المناطق. وكذلك ارتفع عدد عناصر مليشيات أخرى، مثل كتيبة "النددن" التي يقودها معمر النددن. وتساهم عوامل عدة في زيادة عدد المنتسبين إلى هذه المليشيات، أمنية للخلاص من الملاحقة

رفض عناصر المليشيا إعادة تلك الآليات بداية، وقاموا بطرده من المقر بعد تهديدهم له بالاعتقال والتصفية، لكنه عاد بعد يومين وتمكن من استعادة ممتلكاته، بعد أن توسط له أحد أقارب منتسبي تلك المليشيا في المدينة، بشرط أن يعلن ولاءه الكامل للمليشيا، والانتساب للمذهب الشيعي الذي يتخذونه، وبالفعل تم ذلك. أبو محمد اسم مستعار لواحد من مئات المدنيين في ريف حلب الشرقي ممن تعرضوا لانتهاكات المليشيات المعروفة بالمليشيات الإيرانية، وخاصة "لواء الباقر"، ومن القلة الذين استعادوا ممتلكاتهم، حيث عمل عناصر تلك المليشيات بداية سيطرتها على ريف حلب الشرقي في عام 2017، على سرقة كل ما وجدوه أمامهم، ثم استقطاب المدنيين بالقوة والتهديد تارة، واستغلال أوضاعهم المادية تارة أخرى، خاصة من قادة وعناصر لواء كان رأس الحربة في اقتحام بلدات ومدن ريف حلب الشرقي، كدير حافر ومسكنة والخفسة والمهدوم، وقرى ريف حلب الجنوبي، وتلقى خسائر كبيرة في قوته البشرية، لذلك عمل على استقطاب عشرات المقاتلين لسد الفراغ الذي تركته الخسائر في كتلته البشرية.

معمرد الدندن



بتوطيد أركان تلك المليشيا في ريف حلب الشرقي والجنوبي، أي اعتمدت على منطقة جغرافية معدمة وعشائرية".

مع تزايد أعداد تلك المليشيا، بات حصولها على تمويل كافي (خارجي) صعباً، خاصة من الداعم الرئيسي لها، وهو الحرس الثوري الإيراني عبر مركز الإمام المهدي في منطقة السيدة زينب بريف دمشق، كما تتحدث بذلك مصادر إعلامية. لذلك -ومنذ تشكيل تلك المليشيات- عملت على تمويل نفسها بنفسها، من خلال عمليات سرقة ونهب ومصادرة لأموال المهجرين من مدينة حلب؛ لكن في ريفها الشرقي كان الأمر مختلفاً قليلاً، فتلك المليشيات -ومنذ سيطرتها هناك- اتخذت شعار "فوق الأرض لنا، والأرض كلها لبشار"، أي أنهم يملكون صلاحية استباحة كل شيء حرفياً، ثم قاموا بفرض ضرائب مختلفة على المدنيين، وبشكل غير معقول.

على سبيل المثال، أي مدني مرّ أو توقف (في وقت مضى) عناصر من تنظيم داعش أو من الجيش الحر قرب منزله، أو منزل قريب له، أو أن يكون له معارف ضمن صفوفهم، فإن اللواء يفرض عليه دفع مبلغ مالي معين. يضاف إلى ذلك عمليات خطف للرجال والنساء وطلب فدية مالية من ذويهم، وما يعرف عن المليشيات التابعة لإيران والقريبة من حزب الله اللبناني من زراعة الحشيش والتاجرة به، وفق ما بات معروفاً ومؤكداً في أحاديث الأهالي بريف حلب الشرقي.

التشيع حفاظاً على الذات والممتلكات:

(أبو محمد) الذي اضطر للتشيع من أجل استعادة جراره، كان واحداً من مئات، وربما بلغ العدد آلاف المدنيين الذين يقيمون أو عادوا إلى مناطق سيطرة مليشيا الباقر، حيث عملت على افتتاح عشرات الحسينيات في بلدة دير حافر ومدينة السفيرة وبلدة مسكنة والقرى المحيطة ببلدة الخفسة، مشجعة المدنيين على إرسال أبنائهم من خلال تقديمها مساعدات غذائية لهم.

وبات كل من يود الرجوع لمناطق سيطرتهم في ريف حلب الشرقي يستعمل الانتساب للمذهب الشيعي من أجل تضادي ابتزازهم. أكثر من ذلك أصبح من السائد سماع الأناشيد الطائفية من السيارات، والوشوم المذهبية على أيدي الشبان، وكذلك العبارات المكتوبة

ولكنه يتوضح إذا نُظر إليه من جانب استغلال المنطقة كونها من المناطق النائية أو النامية. ويوضح الشلال، بأن المنتسبين إلى هذه المليشيا يحاول البعض منهم إبراز نفسه على أنه أحد أفراد ميليشيا حزب الله اللبناني أو إحدى المليشيات الإيرانية، عبر الخروج في الاحتفالات والمهرجانات بأعلام

تلك المليشيات، "كنوع من النفاق وتعويض النقص في شخصيته"، وكنتيجة لذلك يتشيع المجال البصري في المنطقة، فيما يبدو أنه محاولة تشيع بطرق مختلفة، بحسب ما يرى الشلال.

وبحجة (الإرهاب) أو التواصل مع (الإرهابيين)، كما يصفونهم، تلقى جثث المعتقلين على يد تلك المليشيات على حافة

الطرقات بشكل متكرر، وتتكرر عمليات الاغتصاب في القرى المحيطة بمدن وبلدات ريف حلب الشرقي والجنوبي، ويتم التستر على كل ذلك خوفاً من إرهاب المليشيات وانتقامها من ذوي المعتقلين، وفوق ذلك من قبل عوائل الفتيات خشيّة العار.

على زجاج السيارات وحتى على لوحات الدراجات النارية، أي أن المجال العام يوحى بتشيع كامل المنطقة، أما عمليات التشيع الفعلية فتجري عبر الجوامع والحسينيات، وعبر الجمعيات الخيرية والفرق الجوالّة على المدنيين لأغراض ثقافية أو غير ذلك. تعمل بعض المليشيات أو قادتها،

وعبر قنوات اتصال مع شخصيات عشائرية في المنطقة، على استمالة الرأي العام في مناطق سيطرة "قسد" أو الجيش الحر، وتقديم ضمانات ومغريات لأبناء هذه المناطق لدفعهم إلى "تسوية" أوضاعهم ثم الانتساب إلى صفوفها، ونجح معمر الدندن وعبر شبكة عائلية عشائرية، بتطويع عشرات الشبان

أجبرت كتيبة "المهدي" التي لم تلبث أن عرفت باسم "الدندن" نسبة لقائدها، الأهالي على شراء أعلام نظام الأسد (العلم الأحمر) منها بقيمة ألفي ليرة سورية لكل علم، بغية إخضاع المدنيين كافة في تلك المناطق لقرارات الكتيبة، ولكن كذلك لتأخذ العملية شكل الضريبة على وجودهم في مناطق سيطرة اللواء.

من القرى والبلدات الواقعة تحت سيطرة "قسد" أو تحت سيطرة الجيش الحر في صفوف المليشيا التي يقودها. يقول الصحفي فواز الشلال من بلدة الخفسة، إن مناطق ريف حلب الشرقي حظيت باهتمام إيراني غريب،



في معرة النعمان (200) إصابة «لشمانيا» كل شهر

سونيا العلي

ستة أشهر من العلاج لم تكن كافية بشفاء الطفل فادي من مرض الليشمانيا الذي ظهر على وجهه على شكل حبة حمراء غير مؤلمة تغطيها قشرة بيضاء، وبدأت تكبر وتمتد تدريجياً.

الآفة وموقع الإصابة وعمر المصاب، إضافة إلى وجود طرق أخرى للعلاج بواسطة الأشعة والليزر والكي، علماً أن جميع هذه الوسائل لا تعطي نتائج مضمونة، وتترك ندبات منخفضة القاع على البشرة مكان الإصابة، لذلك ينصح الطبيب باتباع الطرق الوقائية للحد من هذا الوباء من خلال معالجة المياه الآسنة وبخ المبيدات والامتناع عن تربية الحيوانات داخل المنازل، وترحيل القمامة إضافة إلى ارتداء الملابس لتغطية المناطق المكشوفة كاليدين والقدمين.

محمود المر مدير مركز الرعاية الصحية الأولية في معرة النعمان، يتحدث عن أسباب انتشار المرض في المنطقة بقوله: "يستقبل المركز حوالي 600 حالة شهرياً منها 200 حالة جديدة، حيث تعد منطقة ريف إدلب بشكل عام بيئة حاضنة لانتشار المرض بسبب الدمار والأماكن المهدامة التي تكثر فيها ذبابة الرمل والقوارض التي تحمل الطفيلي المسؤول عن حبة الليشمانيا، بالإضافة إلى تدمير البنى التحتية بسبب القصف، وتوقف حملات رش المبيدات في المناطق الموبوءة، وكذلك نعاني من نقص أدوية العلاج، الأمر الذي يدفعنا إلى اللجوء لتعقيم الإصابات وتضميدها في كثير من الأحيان لعدم توفر العلاج الكافي".

أبو يوسف من ريف معرة النعمان الشرقي، يشكو من إصابة أطفاله بالمرض وعدم توافر العلاج داخل النقاط الطبية في كثير من الأحيان، ما يدفعه لشراؤه على نفقته الخاصة رغم غلاء سعره في الصيدليات، إضافة إلى عدم قيام المنظمات الطبية والمجالس المحلية بمكافحة الحشرة المسببة للمرض بالمبيدات الحشرية اللازمة هذا العام، مما ساعد على انتشار المرض بشكل واسع.

عبد الحميد العواد من بلدة سنجار بريف إدلب نرح إلى مخيم عشوائي منذ سنة، يشكو من كثرة انتشار المرض داخل المخيم وعن ذلك يقول: "أعيش مع حوالي ثلاثين عائلة في مخيم عشوائي غير مخدم بشبكات الصرف الصحي، مما ساعد على انتشار مرض الليشمانيا في المخيم، كما نعاني من بعد المستوصفات، وعدم زيارة الفرق الطبية الجواله لنا لتقديم العلاج الذي نحتاجه".

تركت الليشمانيا ندبة في نفس الشابة ريم قبل أن تتركها على وجهها، فهي تحاول أن تضع يدها على مكان الإصابة رغبة في إخفاء ما تسببت به الليشمانيا في وجهها من تشوهات، وعن معاناتها تقول: "بعد الكثير من العناية والتكاليف تخلصت من المرض ولكن رغم شفاء الليشمانيا تركت ندبة وأثراً واضحاً في وجهي".

الطفل فادي ليس الحالة الوحيدة في إدلب، بل ازدادت مؤخراً حالات الإصابة بمرض الليشمانيا، وخاصة بين الأطفال، بسبب النقص الحاد في الرعاية الصحية، إضافة إلى الازدحام السكاني والتلوث البيئي وانقطاع العلاج وإيقاف الحملات الوقائية الكفيلة بالحد من انتشار المرض.

أم فادي من بلدة تلمنس بريف إدلب تتحدث عن معاناة طفلها من المرض بالقول: "ظهرت في وجهه ولدي حبة حمراء صغيرة استمرت أكثر من شهر، ثم بدأت تكبر بشكل تدريجي، وعند التحليل في المخبر تبين أنها (حبة السنّة)، نبدأ رحلة مريرة مع العلاج، حيث كان يزور المركز الطبي الموجود في البلدة بشكل أسبوعي، وبعد أن شارفت حالته على الشفاء، توقف العقار وانقطع ولدي عن الحصول على العلاج مما جعل حالته تتدهور وتعود إلى نقطة الصفر، فلجاناً بعد ذلك الدهون المصنوعة من الأعشاب الطبية دون جدوى".

الطبيب مازن الكامل من مدينة إدلب أخصائي الأمراض الجلدية يتحدث عن المرض بقوله: "الليشمانيا أو ما يعرف ب(حبة السنّة أو حبة حلب) هو مرض طفيلي، يعد من أكثر الأمراض انتشاراً في إدلب، حيث تنقله حشرة تسمى ذبابة الرمل، وهي حشرة صغيرة لا يتجاوز حجمها ثلث حجم البعوضة العادية، صفراء اللون تنتقل قفزاً، وتنشط ليلاً وتعيش في الأماكن الرطبة والمظلمة، وتتغذى على بقايا النباتات الميتة وروث الحيوانات، أما تكاثرها فيكون في حظائر الحيوانات والأبنية المهدامة ومكبات القمامة، وتعمل على نقل المرض من إنسان إلى آخر أو من حيوان إلى إنسان". ويؤكد الكامل بأن المرض ينتشر في الشمال السوري وخاصة لدى الأطفال بسبب بقائهم أوقات أطول خارج المنزل، ويتسع انتشاره في المناطق الريفية والمخيمات بشكل خاص بسبب انعدام شبكات الصرف الصحي وقلّة المياه وتراكم القمامة، ويصنف اللشمانيا إلى أنواع "الجلدية التي تصيب المناطق المكشوفة من الجلد، والجلدية المخاطية في الأنف والضم، والحشوية التي تصيب الأحشاء، وتؤدي إلى الموت، نتيجة تدمير الطفيلي مناعة الجسم".

أما العلاج من المرض فيتم بالحقن الدوائي بعقاري (غلوغانتيم-البنتوستام) بشكل موضعي أو عضلي وفقاً لحجم

مذبذبة للجاموس في سهل الغاب

بعد ازدهار طويل.. انهيار تربية الجاموس في سهل الغاب

■ محمد الأسمر

اليوم 8 آلاف ليرة سورية، ويحتاج حيوان الجاموس 10 أكياس علف في الشهر الواحد، ومع غياب المراعي يجد المربي نفسه مضطراً لشراء العلف "وبسعر السوق".

تلك العوامل لعبت الدور الرئيس في تراجع تلك الثروة الحيوانية، وخفضت أعدادها بشكل كبير، فلا يتجاوز عدد الجواميس الموجودة في المنطقة 70 رأساً، بينما كانت في وقت سابق تنتشر في أغلب قرى سهل الغاب، بحسب محمد عنيزان، رئيس الوحدة الإرشادية في بلدة الشريعة. يقول العنيزان: "نملك في الوحدة الإرشادية (مخبر ثروة حيوانية)، ونحن قادرون عبره على تقديم الرعاية الصحية للجاموس، لكن المخبر اليوم خارج عن العمل، لعدم توفر الكلفة التشغيلية وغياب بعض المواد الكيماوية، وقدمنا الكثير من المناشدات للمنظمات الراعية بهدف الحصول على تمويل لتشغيل المخبر ولم نتلقَ أي تجاوب". ويتابع، "نستطيع بقليل من الرعاية والدعم النهوض بهذه الثروة من جديد لاسيما أن حيوان الجاموس من الحيوانات المقاومة للمرض والقادرة على الإنتاج والتكاثر بشكل جيد".

مع حلول المساء يصدر علاء صوتاً عالياً لتسمعه مواشيه، فتتوجه إلى حظيرتها ويغلق الباب خلف بقاياها، ويحكي شيئاً عن حلمه بعودة ممتلكاته من هذا الحيوان إلى سابق عهدها، حيث كانت تملأ الحظيرة بشكل كامل.

يذكر أبو حسين (80 سنة) بأن أغلب بيوت سهل الغاب كانت تحوي حيوان الجاموس، وتجاوزت أعداد هذا الحيوان في فترة من الفترات 4000 رأس، لكن الجفاف الذي أصاب سهل الغاب بعد تجفيفه مطلع ستينات القرن الماضي، أثر بشكل تدريجي على تربيته، فحيوان الجاموس من الحيوانات التي تفضل العيش ضمن المستنقعات أو الأنهار، وتقضي غالب يومها ضمن الماء.

يستطرد أبو حسين متذكراً أنه في ذلك الوقت تعالت الأصوات الراضية لتجفيف الغاب وتغيير طبيعته، لأن تجفيفه سيقضي على تلك الثروة الحيوانية، في حين كان بالإمكان الاهتمام أكثر بهذا الحيوان ليشكل ثروة اقتصادية مهمة في البلاد، لكن تلك الأصوات لم تلقَ أي استجابة من المعنيين وتمت عملية التجفيف، وبدأت أعداد الجواميس بالتراجع.

خلال السنوات الأخيرة كان للحرب آثار مدمرة على تربية الجاموس، حيث تسبب النزوح إلى مناطق جبلية تصعب تربية الجاموس فيها، وانحسار المساحات الخضراء في سهل الغاب، ثم بيع الكثير من المربين حيواناتهم لتذبح، بتبدد هذه الثروة الهامة.

تقتصر تربية الجاموس اليوم على قريتي "التوينية" و"الشريعة"، يقول علاء: "كان عنا بين 150-200 رأس، اليوم ما ضل عنا غير 15. العلف غالي كثير وما عنا قدرة نشترى". ويتجاوز سعر كيس العلف

يعود تاريخ الجاموس في المنطقة لأكثر من 800 عام، وساهمت المستنقعات التي كانت منتشرة هناك في تأمين أرض خصبة لتكاثره، وهو من الحيوانات الأليفة جداً، والتي تسهل رعايتها على خلاف مظهره الذي يوحي بالشراسة. وكان بإمكان أي عابر للمنطقة أن يري من سفوح جبال اللاذقية سهل الغاب ممتداً بخضرتة تجويه قطعان الجواميس التي ترعى تلك السهول بمفردها دون الحاجة إلى راع يقودها، فقد اعتادت تلك القطعان أن تخرج من الحظائر وحدها في الصباح لتنتشر قرب الأنهار وفي السهول الخضراء ثم تعود مساءً، وتصدر حينها أصواتاً خاصة تخبر صاحبها بضرورة حلبها، حسب علاء العمر، أحد مربي الجاموس.

ويرى علاء الذي ورث مهنة تربية الجاموس عن أجداده، أن سهولة تربية الجاموس هي التي دفعت الكثير من أهالي سهل الغاب منذ القدم لاقتنائه، فالتعامل معه أسهل بكثير من التعامل مع بقية المواشي، كما أن كلفة تربيته كانت أقل بكثير منها، إذ يعتمد الجاموس على الرعي بشكل مباشر، ويأكل الكثير من الأعشاب التي تألف بقية المواشي أكلها، ولا يتكلف المربي بتقديم العلف له إلا في سنوات الجفاف القاسية جداً. إضافة لما سبق، فقد ألف أهالي المنطقة حليب الجاموس ولبنه، ويعتبرونه ألد من حليب البقر، كما أن إنتاجية الحيوان من الحليب تضاهي بكميتها حليب البقر، وبالتالي فهي تشكل مصدراً تجارياً مهماً لسكان المنطقة.

سوء حياة الناس، "فهنا معظم النساء تحولت لمعيالات لأسرهن"، وبات عليهن تأمين وظائف بسبب هجرة الشباب أو موتهم أو اعتقالهم، "فالأشخاص يعيشون حياتهم بعيداً عن الجدل أو الاقتراب من الأمور السياسية أو ما يتسبب لهم بأي مشكلة، كل شخص ملتزم بأطفاله ومشاكل حياته (وملتهى بتأمين مستلزماتهم)؛ منوهة أن لمدينة اللاذقية وضع خاص، لأن أغلب قاطنيها موالون للنظام، "أبناء الأحياء المعارضة قلّة ومحاطون من كل الجهات"، فليس لهم أي صوت يسمع، وعاجزون عن إظهار أي اعتراض، فهم يخشون من الموالين أكثر من عناصر الأمن أنفسهم.

أما الشاب محمد إبراهيم، والذي يقيم في مناطق سيطرة المعارضة بريف إدلب الغربي، فقد بين لعين المدينة أنه منذ أن انشق عن خدمة العلم قبل سبع سنوات والتحق بصفوف الجيش الحر- يتمتع والده المقيم في اللاذقية عن التحدث إليه عبر الهاتف أو الواتس أب، كما يمنع والدته وأخواته من التواصل معه، ويعيش حالة من الحذر من التوجه نحو دوائر الدولة أو القطاعات الأمنية، رغم أنه -وبعد انشقاكه بعام واحد- تقدم بطلب رسمي لإدارة الجيش لتثبيت اختفاء ولده أثناء خدمة العلم، وهو يخبر كل من يسأل عنه بأنه قد اختفى ولا يعرف عنه أي معلومة ولربما قتل أثناء خدمته؛ مضيفاً أن الأمر وصل لحدّ نكرانه في العائلة، فأغلب الناس قد نسوه وباتوا ينادون والده باسم أخيه الأصغر، والسبب الأساسي هو الخوف والرعب الذي زرعه النظام في نفوسهم.

هذا الحال ليس ضمن أسرة الشاب محمد فقط، كما شرح، فالعديد من أصدقائه يعانون من الوضع ذاته، وهم يعيشون أيضاً بقلق وخوف على أهلهم وأقربائهم، لكن ليس هناك أي حل، فهناك مئات الأسر التي تركت منازلها في اللاذقية وهاجرت، وقد ذهب منازلها للشبيحة وعناصر النظام، الذي يسعى إلى جعل الأحياء المعارضة مختربة بمخبريه وشبيحته عبر تغيير تركيبة سكانها.

أهل مدينة اللاذقية اليوم الرعب المتواصل تحت الاحتلال

■ ميسر الحاج

تعيش مدينة اللاذقية حالة من الهدوء جعلتها ملجأً مئات الأسر النازحة من باقي المحافظات، لاسيما الأسر التي تعرف بموالاتها للنظام، لكن تحت قشرة الهدوء يستولي الخوف على أبناء الأحياء المعارضة، وهي الأحياء التي شاركت في المظاهرات المناهضة للنظام مع بداية الثورة، كحي الصليبية ومشروع الصليبية والرمل وقينيص.

لتأمين لقمة عيشهم وإبعاد أعين الأمن عنهم؛ موضحاً أنه في حال وقوع أسوأ حادث، يسارع السكان لإظهار تأييدهم للنظام، وأغلب المحلات تحوي على (صور لبشار الأسد والعلم الأحمر). "لا يمكن وصف الوضع إلا أنه حالة رعب كبيرة، وصلت لمرحلة الخوف من بعضنا البعض ومن الجيران ومن أقرب الناس".

من جانبها قالت دعاء عبد الفتاح، وهي إحدى السيدات التي تعيش في حي الصليبية، إنها على اطلاع على عشرات القصص التي أجبرت فيها نساء على استخراج (أوراق مطلقة)، بسبب توجه زوجها نحو مناطق المعارضة، وخوفها الشديد من أن تتعرض للمساءلة والاعتقال بسبب ذلك، معتبرة أن الأغلبية يقومون بإجراءات احترازية لأنهم يعيشون تحت ضغوط كبيرة، أبرزها تواجد عناصر الأمن بشكل دائم في الشوارع وعلى مداخل الأحياء وتجوئهم بالسيارات وهم يحملون السلاح، إضافة إلى ما يقومون به من حملات دهم وتفتيش المنازل بحثاً عن المطلوبين ممن شاركوا بأي نشاط معارض، أو الشباب المتخلفين عن خدمتي العلم الإلزامية أو الاحتياطية.

أضافت أن الوضع المادي الصعب الذي تعاني منه أغلب الأسر يلعب دوراً في

عوامل كثيرة تقف وراء هذا الخوف والقلق، أبرزها هجرة أبنائهم أو التوجه نحو مناطق سيطرة المعارضة، فضلاً عن خوف بعض الأسر بسبب أبنائهم المعتقلين أو من سقطوا في المعارك ضد النظام. حيث يعيش الأهالي في حالة من الصمت واليأس، بحسب ما أكد علاء محمد أحد سكان حي الرمل الجنوبي، في حديثه لعين المدينة، موضحاً أن سكان هذه الأحياء يعانون ظلماً كبيراً وتهميشاً مقارنة بباقي أحياء المدينة، مثل حي الزراعة أو الرمل الشمالي اللذين يستطيع سكانهما الاعتراض على أي أمر، كالتقنين الكهربائي أو قلّة الخدمات، ويعبرون عن غضبهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو حتى من خلال أحاديثهم، "أما نحنا عم نعيش بحالة من الحذر والرعب ولا نظهر أي اعتراض"، فجميع الأسر تخشى من أي سؤال من الممكن أن يتوجه لها من قبل عناصر الأمن أو الجهات الحكومية، لذلك يسكتون عما يحصل لهم لكي لا (تفتح الأعين) عليهم.

"هذه الحالة منذ فترة طويلة يعيشها أبناء المدينة من السنّة"، تابع علاء شارحاً، لكنها تضاعفت وظهرت بشكل واضح بعد اندلاع الثورة، فمع بداية المظاهرات كان هناك أمل كبير بالتغيير وإسقاط النظام، تلاشى مع مرور الوقت، وبات الناس يسعون



مداولة لمصابين من جيش النظام

مشهد لم يكن عاماً كما هو عليه الآن في قرى ومدن الساحل السوري، فوجود أصحاب الاحتياجات الخاصة بات حالة عامة، لا يكاد يخلو من وجودهم شارع أو حي أو حتى مؤسسة، كثير منهم يحملون أوراقهم ويصطفون على شبابيك المصارف أو المشايخ أو المؤسسات الاجتماعية والعسكرية، لتقديم وثائقهم التي تثبت إصاباتهم في الحرب والحصول بالتالي على راتب أو أداة طبية تساعد على حياتهم أو تعويضات رمزية.

بانتظار العكاز والكرسي المدولب.. مصابون في جيش النظام على شبابيك مؤسساته

■ مراد الحجري

ويبحثون اليوم عن مصدر دخل إضافي، فدخولهم التي لا بد ستفقد الكثير من قيمتها نتيجة عدم استمرارهم بالعمل لن تكون كافية بالطبع، خاصة في ظل إصابات هي بحاجة لأدوات، وأدوية معينة، لا تتوفر غالبيتها بالمجان.

تحاول المؤسسة العسكرية ممثلةً بأكبر قياديتها (رئيس النظام) تمرير ومضات إعلامية بين الفينة والأخرى، للتأكيد على وقوفها بجانب المعاقين، ومضات تصل حد إصدار مرسوم يؤكد أن المصابين في الحرب والذين توفوا نتيجة إصاباتهم هم "شهداء" المرسوم الذي نال من السخرية ما ناله بين قطاعات المؤيدين قبل المعارضين، والذي جاء في خضم مجموعة زيارات قام بها الأسد وزوجته لمتنازل مصابين، من الواضح أنها وضبت بأناقته قبل استقبال القائد، وأن الطريق إليها كانت موحلة قبل ساعات من الزيارة..

لوحات جدارية وصناديق برتقال (عند بروز أزمة كساد الحمضيات) كانت أبرز هبات القائد للمصابين، فيما ينتظر المئات على أبواب المؤسسات الصحية للحصول على أداة تتيح لهم الخروج من المنازل، أو على الأقل التنقل ضمنها، والوصول إلى التلفاز لتشيغله، وحضور آخر المراسيم والكلمات التي يوجهها القائد لحماته الأبرار.

إياهم إلى المقابر، ليقتضي ذوهم سنوات أملاً في الحصول على أي دعم مادي أو توظيف تكريماً لما قدمه "الشهداء"، فيما بقي غالبية المصابين حبيسي المنازل والأسرة، بانتظار مؤسسة ما تدق أبوابهم لتهديهم العكاز أو الكرسي المدولب.

يقول محمد عوكا (عسكري سابق، لديه ثلاثة أبناء عم من المصابين في الحرب): "إذا كان على الشهيد إثبات شهادته لينال ذوهه التعويضات، فكيف الحال مع المصاب؟. حشود المعاقين التي تشاهدها بشكل يومي، يحتاجون إلى أشهر من العمل بين المؤسسات لإثبات إعاقاتهم، وتقديم تقرير طبي بنسبتها، ليحدد على هذا الأساس الراتب الذي يمكن أن يتقاضاه العسكري، وهل هو في عداد المتقاعدين العسكريين، أم ماذا؟. ليس هناك قانون واضح بهذا الخصوص، فالتعديلات والفوضى هي التي تحكم حياة هؤلاء".

يحاول محمد مساعدة أحد أبناء عمه الذي فقد كامل ذراعه اليمنى، في تسيير إحدى أوراقه في المصرف الزراعي، بعد مسيرة أكثر من شهر ونصف بين المشايخ والمؤسسات، لينال العسكري تقاعده، فيقول محمد "ألا يلفتكم مشهد المعاقين الذين يحاولون إيجاد مهن بسيطة أخرى، كفتح الأكشاك، أو بيع السجائر على الأرصفة، أغلب هؤلاء كانوا عسكريين،

أكثر من مليون ونصف صاحب احتياج خاص خلفتهم العمليات الحربية خلفها، مدنيون وعسكريون من كافة المناطق السورية، غالبيتهم لم يتم الاهتمام بأوضاعهم، ولم تحظ سوى نسبة قليلة منهم بالدعم، أو الحصول على أطراف صناعية بالنسبة لمبتوري الأطراف، لذلك ما زالت أسر غالبيتهم تطالب الجهات التي من المفترض أن تدعمهم بتقديم ذلك الدعم، إلا أن الدلائل تشير إلى انخفاض هذا الدعم، وإلى أن الإهمال هو أكثر الأساليب المتبعة تجاه هؤلاء في مختلف المناطق، بما في ذلك مناطق المعارضة. جزء كبير من أصحاب الاحتياج الخاصة في مناطق النظام هم من العسكريين السابقين في الجيش، الجيش الذي يحظى بأولوية خاصة لدى النظام، والذي لا تكاد تُعقد أي فعالية -مهما كان شكلها ونوعها في المناطق التي يسيطر عليها- إلا ويقر القائمون عليها بأن هذا الجيش هو من حافظ على أمنهم وسلامتهم، وأن شهداءه ومصابه هم (أصحاب الفضل في صون الوطن).. إلا أن خلف هذا الخطاب مقعدين ومبتوري أطراف ومصابين بكافة أشكال الإصابات، ينتشرون اليوم في مدنهم وقراهم دون أن يلتفت إليهم النظام الذي زجهم في معاركه، ثم لفت بعضهم بأعلامه حاملاً

يوماً ما في داريا..

كيف تأسس المجلس المحلي وكيف كنا نتعاطى السياسة بكثير من الشغف وبعض الخداع؟

■ محمد كساح

عقب صلاة تروايح إحدى ليالي رمضان 2012، وفي الطابق العلوي من جامع المصطفى، كنت في غاية التركيز وأنا أستمع إلى خمسة من مشايخ وأكاديميي داريا في بداية اجتماع هام، لعبت نتائجه الدور الأبرز في إدارة المرحلة القادمة من مجزرة داريا نهايات آب من ذلك العام، وحتى منتصف 2016 عند نهاية معركة داريا الكبرى.

وإحدى أهم المؤسسات الصحفية التي لاتزال تعمل حتى اليوم وبزخم كبير، جريدة عنب بلدي. في نفس الوقت كان أفراد التجمع الآخر (بشار الفرخ، عبد المجيد أبو أحمد، وأشخاص آخرون) يحاولون صنع كيان مغاير تماماً، ومختلف عن الأفكار السلمية التي آمن بها أفراد التجمع الأول متأثراً بأستاذهم جودت سعيد؛ وبين الطرفين عمل بعض المثقفين وأساتذة المساجد في العمل السياسي والإغاثي، كما حاز أبو تيسير دعماً عسكرياً قوياً، وتواصلات كبيرة خسرها، من ثم، بعد تأسيس المجلس المحلي والإعلان عن الكتيبة التابعة له كتيبة شهداء داريا.

ضم المجلس المحلي عشرة مكاتب، أهمها العلاقات والإغاثة والإعلام والخدمات، إضافة للمكتب العسكري الذي كان يطلق عليه خلال الاجتماعات "المكتب العاشر"، دون توضيح سبب هذه التسمية. كان احتكاكي بالتجمعين جيداً، فقد زرت معتز مراد وهو أحد أبرز دعاة السلمية في بيته عدة مرات تعرفت فيها على بشار معضمانى، أحد أبرز من تولوا مسألة الدعم العسكري عند حلول معركة داريا، كما عرفت محمد شحادة أبو يامن خلال الاجتماعات الأولى للمكتب الإعلامي، الذي انتخبناه رئيساً له في ليلة تأسيس المجلس.

على الطرف المقابل، دعيت أكثر من مرة لحضور اجتماعات التجمع الآخر، حيث كانوا يطلقون لقب "العلمانيين" على أعضاء جماعة اللاعنف، ويحاولون كسب المزيد من القوة لمواجهةهم، وإلغائهم من الواقع السياسي في داريا، وتأسيس جريدة مناهضة لعنبل بلدي.. طلب مني في أحد هذه الاجتماعات مناقشة جريدة الصحوة التي أطلقوها بالتعاون مع الصحفي الحمصي علاء عننوس، وقد كلفت برئاسة تحريرها، على الرغم من وجود عننوس الذي لم أكن قد التقيت به بعد؛ ربما شعر أفراد التجمع بعدم انتماء عننوس لهم فحاولوا "الانقلاب" عليه، لكنني وفي أعقاب اللقاء الأول مع رئيس التحرير - أثرت العمل معه.. ربما يدل هذا المشهد على الطريقة البدائية في تعاطينا جميعاً مع العمل السياسي، حيث كانت الخطط تحضر في السر، وتكثر "الانقلابات" التي

أعلن هؤلاء الخمسة، الذين اعتبروا بمثابة محكمين حياديين، تأسيس المجلس المحلي لمدينة داريا؛ كانت هذه الفكرة بمثابة حلم يراود الثوار نتيجة تعمق الخلافات بين نشطاء المدينة، وفي المقابل نال المجلس في فترات لاحقة أكبر قدر ممكن من الاتهامات والشتائم المحقة أو البعيدة كل البعد عن الحقيقة. بعد أن صلينا التروايح صعدنا إلى الأعلى، وتعلقنا حول السادة المثقفين الخمسة؛ كان الحضور كبيراً ودسماً، فحضر جميع أعضاء "جماعة اللاعنف"، وهم طلاب الأستاذ عبد الأكرم السقا، وكانوا يديرون تنسيقية داريا، التابعة للجان التنسيق المحلية، في حين تغيب بشار الفرخ - أو غيب - عن الحضور، ليتواجد بعض أعضاء جماعته المكونة من طلاب مساجد المدينة، وتدير (تنسيقية الشعب يريد إسقاط النظام)، وكانت مناوئة لجماعة اللاعنف. كان الفرخ يمتلك علاقات مالية قوية مع الخارج، وبالإمكان تسمية هذه الجماعة ب"تجمع طلاب المساجد".

رجل آخر ذو وزن كبير في ذلك الوقت لم يحضر.. إنه أبو تيسير زيادة، الذي أسس الجيش الحر في داريا، وكان يقود الكتيبة الوحيدة في المدينة حينها، كتيبة سعد بن أبي وقاص، ومع ذلك لم يكن متواجداً في أهم اجتماعات داريا.. كان لهذه "التجاوزات" أثرها فيما بعد على الواقع السياسي في داريا، إذ شكّل الفرخ وعدد من جماعته من جهة، وأبو تيسير وكتيبته من جهة أخرى، نواة صلبة للعمل المعارض ضد المجلس، الذي تعتبر دهاليز غرف الداعمين أحد أكبر ساحاته.

حضوره لم يكن مؤثراً، إلا في كوني قد رُشحتُ من قبل "تجمع طلاب المساجد" لأكون ضمن كادر المكتب الإعلامي للمجلس.. كان العمل السياسي في بداياته حينها، وكان الجميع يعمل بنشاط لا نظير له لتأسيس كيانات سياسية تتربع على عرش التأثير في مستقبل داريا بشكل خاص، والمنطقة بشكل عام. أسس "جماعة اللاعنف" تنسيقيتهم منذ بداية الثورة، وفي العام الثاني أعلنوا عن "مجلس ثوري" ضم نخبهم ونشطاءهم



ستتكرر مع دخول داريا مرحلة الكفاح المسلح والحصار، نهايات العام الثالث للثورة.

مع تسارع وتيرة الأحداث، التي بدأت بمعركة موسعة شنها النظام على المدينة في تشرين الثاني 2012، وانشغال الفصائل بالمقاومة على أكثر من جبهة- كان المسؤولون عن المجلس المحلي يعدون الخطط لزيادة التمويل المالي والعسكري من جهة، ومن جهة سعى التجمع الجديد الذي سيطرت عليه "جماعة اللاعنفا" إلى التخلص من الجماعات الأخرى، سواء كانت سياسية أو عسكرية، بهدف توحيد الجهود ضمن إطار المجلس المحلي وذراعه العسكري كتيبة شهداء داريا، التي تطورت إلى لواء شهداء داريا، جراء انضمام أعداد كبيرة من المقاتلين.

كان الهدف الأول هو بشار الفرخ، الذي يدير التنسيق المناوئة، ويحظى بشعبية جيدة لدى جماعته، وبمال سياسي وفير. وفي غضون أشهر قليلة أقنع الفرخ بالغاء التنسيقية بهدف توحيد الجهود، ما أضعف تمويله لدرجة أن الشاب الطموح هجر كل مشاريعه والتحق بجبهات القتال، كما أكد لي في إحدى الجلسات التي جمعته به في تلك الفترة؛ لكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ كان يخطط للدخول في حلقة من التأثير السياسي عبر انخراطه بالعسكر. وبالفعل، غدا اليد اليمنى لأبو خالد شعيب قائد إحدى كتائب لواء شهداء الإسلام، وزاد تمويله الذي قدم بعضه للكتيبة، بينما انهمك في تأسيس تجمع سياسي جديد أسماه "سنحيا كراما". عند وفاة شعيب أصبح الفرخ قائداً للكتيبة، ثم استشهد على جبهة القتال في العام الخامس للثورة.

تركت المكتب الإعلامي التابع للمجلس المحلي ميكراً، ولم تتجاوز الاجتماعات التي حضرتها أصابع اليدين. كان رئيس المكتب محمد شحادة متحدثاً بارعاً ولبقاً. تمكن من خلال عمله في الإعلام، من جعل المجلس المحلي الرقم الصعب في هذا الجانب، لاسيما بعد التغطيات الصحفية التي قام بها المكتب الإعلامي بعد مجزرة داريا، وعند اندلاع المعركة؛ وطريقة شحادة في كسب التأييد للمكتب الإعلامي وللمجلس سيستخدمها مراراً في جعل الغالبية العظمى من شبان المدينة -ممن كانوا يتبعون لتجمع الطلاب- يتحلقون حوله، وينضمون لصفوف المجلس المحلي الذي غدا قوة ضاربة، وأدار المدينة لسنوات طويلة.

الاعتقال، كوني كنت مقيماً في معضمية الشام، ونجوت بأعجوبة حين لم أف بوعدي لأبو شاهين بأن أزوره صبيحة يوم الهجوم. بعد تقلص نفوذ الفرخ واعتقال أبو شاهين، لم يبق سوى أبو تيسير ولوائه العسكري في مواجهة المجلس. يعتبر أبو تيسير في الحقيقة العدو اللدود للمجلس المحلي من ساعة تأسيسه، على الرغم من كونه قائد الجيش الحر، لكن تشكيل كتيبة شهداء داريا شجع عشرات المثقفين وغيرهم على ترك كتيبة سعد والانضمام إليها. أما أبو تيسير فكان قد زود مكتب العلاقات في المجلس -لدى تأسيسه- بالإيميلات وحسابات سكايب الخاصة بالجهات الداعمة، وهكذا بدأ تمويله يتقلص تدريجياً، إلى أن انقطع فترة طويلة من الزمن، ثم تعافى قليلاً مع تأسيس "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" وانخراط لوائه ضمن صفوفه.

ومع ضعف التمويل بدأ بعض المسؤولين ضمن لواء الشهداء بمحاولة استقطاب مجموعات، وانفضت عنه العديد من السرايا، لدرجة أن (لواء سعد) تقلص إلى 25 مقاتلاً فقط في الفترة الأخيرة التي سبقت إخلاء المدينة. بل وجه المجلس المحلي ضربة موجعة للرجل حين استمال قائد لواء سعد -الذي عين بديلاً عن أبو تيسير في تلك الفترة- وأقنعه بحل اللواء.

كان نشاطنا السياسي في داريا مرتبطاً بالمجلس المحلي، وما بين مؤيد يشارك في إعداد الطبقات السياسية خلال اجتماعات المجلس الدورية، ومعارض يهاجم المجلس وأعماله على فيسبوك أو في الصحف المحلية؛ تشكل عمل سياسي تميز بالبدائية والسذاجة، مع شغف كبير بمتابعة هذه اللعبة التي غدت في بعض الأوقات قدرة ولعينة.

من أبرز الأحداث التي شهدتها نهاية العام الثالث، ومع اشتداد الحصار على داريا، كانت المحاولة الانقلابية التي قام بها الملازم أول أبو شاهين، مع مجموعات انشقت عن لوائي الشهداء وسعد بن أبي وقاص، اعتقل من خلالها معتز مراد وبشار معضماني ومحمد شحادة وأبو تيسير زيادة وعدد من قادة لواء الشهداء. كانت تلك الليلة عصيبة بكل معنى الكلمة، إذ حشدت فصائل داريا قواتها وتمكنت من تحرير الرهائن، وعلى الفور أصدرنا قراراً بإصدار دم "أبو شاهين وستة من أعوانه، فرد الأخير بالإعلان عن "لواء الأحرار" الذي دعمته على الصعيد الإعلامي فيما بعد، فقد كنت أبحث عن أي تشكيل عسكري ينقذ الأوضاع في داريا، ولم يكن امامي سوى هذا الضابط الذي يمتلك خبرة عسكرية، وخططاً جيدة لتحرير المدينة ولفك الحصار عنها، من وجهة نظري على الأقل.

تمكن أبو شاهين من الحصول على تمويل كبير بعد انضمامه إلى الجبهة الجنوبية. كنت مندفعاً للعمل معه، فتسلمت إدارة صفحة لواء الأحرار على أمل الترويج لهذه القوة الوليدة، ربما كان الخيار خاطئاً.. أتساءل في بعض الأحيان، لأن عناصر عديدة من اللواء كانت فاسدة بالفعل. ولكن جرأة الشباب -في تلك الفترة- على خوض غمار تحالفات غير محسوبة كانت تقود معظمنا؛ فإذا كنت قد عملت مع "لواء الأحرار"، فإن العديد من زملائي وأصدقائي التابعين للجهة المناوئة لجماعة اللاعنفا، انخرطوا ولا يزالون في مشاريع هذه الجماعة.

على أي حال لم يدم مشروع لواء الأحرار طويلاً، فقد هوجم نهايات العام 2014، واعتقل معظم قياداته ولم يظلني

رحلة البحث عن الشريك وخطوبات لم تكتمل

شمس الدين مطعون

Michelle D'Oyley

بعد مضي عام على وصوله إلى تركيا، استطاع أحمد (24 عاماً) تأمين عمل براتب ثابت، وتجهيز منزل وفرشه بجميع لوازمه، وبذلك أزاح العقبة التي كان يراها الأولى أمام مشروعه التالي، وهو الزواج.

فترة من البحث، حيث وجد عائلة تقيم في ولاية تبعد عنه سفر ساعات طويلة، ولكن الخطبة استمرت لعدة أشهر كانت فيها العلاقة والمعاملة - كما روى تيسير - من أهلها جيدة إلى حد ما، وطلباتهم معقولة: "البيت والعمل الثابت وتليسة الذهب المتعارف عليها".

ظلت الأمور تسير على ما يرام مدة سبعة أشهر، حتى تلقى رسالته من والد خطيبته يوضح فيها أن الذي بينهم قد انتهى، محدداً له موعد ليستلم هداياه التي جلبها لخطيبته خلال فترة خطوبتهما، دون إيضاح السبب، "الخبر نزل على رأس صاحبي كالصاعقة" قال أحمد. حاول بعدها تيسير الاتصال بخطيبته أو عائلتها لمعرفة السبب، لكن دون جدوى، حتى لجأ إلى إخبار أهله في سوريا ليستفسروا عن الأمر، وكان الرد من (أهل الخطيبته) مقتضب وغير مفهوم، "ما في نصيب".

يعتبر أحمد أن عدم تواجد أهل صديقه كان عاملاً أساسياً في إنهاء العلاقة بطريقة مؤلمة، فدور الأهل في التواصل مع أهل العروس له "ضغط كبير يمكن أن يمنع تسلطهم على الشاب المسكين الذي يقطن في الغربية وحده"، فبعد فسخ الخطوبة اعترف تيسير بأن طلبات أهل خطيبته السابقة كانت مرهقة ومكلفة، ولكنه أثر التحمل، فرغبته بالزواج والاستقرار كانت تسيطر عليه، ولكنه الآن قد عزم عن فكرة الزواج، كما اقتنع أحمد بذلك أيضاً.

تفاؤله، مردداً "بلش العد التنازلي، لح نتجوز عاد".

لم تعد مسألة إيجاد شريك الحياة أمراً سهلاً، فقد أصبحت الفتيات في تركيا أكثر (نضجاً وانفتاحاً)، ولم يعد التفكير في الارتباط هدفاً أساسياً، بحسب ما تتيح الملاحظة وأحاديث وحكايا سوريين على اتصال بالأمر، حيث أتاحت لهم فرص للتعليم وإقامة مشاريع والخوض في غمار الحياة، في مجتمع تختلف عاداته كلياً عن عادات المجتمع السوري الذي يؤمن بقاعدة "البنات لبيت زوجها".

هذا التغيير كان عائقاً جديداً أمام الشباب الراغبين بالزواج... يتحدث أحمد بتهمك "بدها تكمل دراسة، لسا بكير. هذا هو الرد من أهل كل بنت راحت تخطبها اختي". البيئة المحافظة التي نشأ فيها أحمد جعلت التغييرات التي عصفت بالسوريين في تركيا فوق احتماله. وبعد محاولاته المتكررة للبحث عن شريكته، بدأ أحمد مستاءً، فلم يعد يتذمر لساعات الدوام الطويلة في عمله، كما كان في السابق، ولم يعد يطلب إجازة، وسيطرت عليه فكرة تسليم المنزل وبيع أثاثه، الذي من المفترض أنه أعدّه (لمشروع الزواج)، وبدأ يخطط للانتقال إلى السكن مع مجموعة شباب، حيث يدفع تكاليف أقل، بعد أن فقد أمل الاستقرار على المدى القريب.

فكرة أحمد أصبحت قراراً، ومحاولته أصبحت ذكري، مثل محاولة صديقه تيسير الذي استطاع أن يخطب بعد

"المشروع" تكفلت والداته -المقيمة في ريف دمشق- بجزئه الأهم، وهو إيجاد العروس المناسبة. ولكن بعد بحثها لشهرين متتالين، لم تفلح أم أحمد التي كانت مصرة وتطالب ابنها بالانتظار ريثما تستطيع إقناع عروس بالسفر لتركيا - في أن تجعل الحظ يحالفها؛ فخطر الرحلة وحرمان العروس من رؤية أهلها بجانبها في أسعد أيام حياتها، كانت عوائق تمنع الأهل من الموافقة.

"والله لجوزك بإيدي أحلا عروس، بس استنى علي" تردد أم أحمد في كل اتصال هاتفي بولدها، الذي بات غير مقتنع بهذه "الطريقة"، بعد أن عاين عن كثب معاناة صديقه يمان الذي استمرت خطبته لأكثر من عامين. يقول أحمد، إن صديقه عقد خطبته على ابنة عمه قبل سفره إلى تركيا، وكان من المقرر أن يتم الزواج بعد ستة أشهر، وريثما يؤمن يمان البيت والعمل، لكن إيقاف تركيا لتأشيرة السفر وقفت عائقاً أمام إتمام زفاف تأخر لعامين، فكان الحل بعدها السفر عن طريق دخول محافظة إدلب، ثم التسلسل تهرباً إلى تركيا عبر الحدود، اضطر خلالها يمان لدفع مبلغ 3000 دولار لتأمين طريق مريح وآمن لعبور خطيبته إلى تركيا، وبذلك دفع معظم ما استطاع ادخاره، وتم زواجه بلا "زفة".

اعترفت أم أحمد أخيراً بفشلها أن تقنع عروساً بالسفر، وأوكلت مهمة تزويج ابنها لأخته المقيمة في ولاية أنطاكية التركية منذ عدة سنوات، وتبدأ رحلة البحث الجديدة.. يقول أحمد متذكراً

الجنسية التركية... «ولاء للدولة» أم «فن المكسب»

رانيا عيسى

القلق من المستقبل المجهول يرافق اللاجئين السوريين أينما اتجهوا، خاصة في تركيا. يتابعون شؤون البلاد التي يسكنونها، يتبادلون الشائعات المتعلقة بمصيرهم، والتي ترتبط بالواقع السياسي والاقتصادي، بعد أن أصبحت قضيتهم جزءاً من الحملات الانتخابية وخلافات الأحزاب، وانقسم سكان البلاد الأصليين بين موافق على وجودهم ورافض له، بين التعاطف مع أحوالهم والتنمر عليهم.

وحصلت على الجنسية التركية لأبقي بمنأى عن الحرب، لكن الجنسية ستكون سبباً لزعجٍ مجدداً في الحرب ذاتها، متخوفاً من احتمالية أن تكون خدمته في الداخل السوري.

بينما يرى فواز أن حصوله على الجنسية سيفقده "كرت الهلال الأحمر"، يضحك وهو يقول "شو نفع الجنسية بدون مصاري"، ناهيك عن تحاشي بعض أرباب العمل الأتراك بتشغيل من يحملون الجنسية، لتجنب "الحد الأدنى من الأجور المفروض من قبل الدولة والتأمين.."

لترى ألى أن الفائدة الوحيدة من حصولها على الجنسية كانت في قدرتها على "استقدام عائلتها من حلب"، دون الحاجة للجوء إلى التهريب ومخاطره، في الوقت الذي رأت فيه نورا أن الحصول على الجنسية "يغنيك عن إذن السفر" للتنقل بين الولايات، والذي بات مشكلة عصية ليس لها حل، إضافة لجواز السفر الذي سيسمح لها بالسفر إلى بلدان أخرى للعمل. تفصح نورا عن رغبتها بالهجرة إلى كندا، مبررة ذلك بأن "تركيا ليست بحاجة لنا".

حماية مؤقتة أم أبدية؟

"جواز مستعجل" أو "عادي"؟ يصرخ رجل أمن القنصلية السورية في إسطنبول، ينظم عشوائية طوابير المراجعين بكلام لا يخلو من إهانة، فاقف تارة بين طابور "تصديق الأوراق"، وتارة في طابور "جواز عادي" أو كما يسميه البعض بـ"طابور ابن البطة السوداء".

سأم الانتظار أمام القنصلية وتأفف موظفي أمنها دفعني لاختلاق حديث مع هبة 39 عاماً من حلب، تواظب على تطبيق ما ينبغي عليها فعلة كسورية تشملها الحماية المؤقتة، تقول: "إزا قدمت طلب على الجنسية التركية، كل الامتيازات الممنوحة للسوري الحامل للبطاقة الصفرا بتصير بخبر كان"، لم تخف هبة تخوفها على ابنها بعد أن بلغا سن الخدمة العسكرية، "إزا تجنسوا، يكون بعنتهم على الحرب من جديد".

جمعيات وحملات تهدف إلى الدمج الاجتماعي بين السوريين والأتراك لاتزال مستمرة منذ استقبال البلاد لسوريين في 2012، بغية تعريف السوري على ثقافة البلاد وقيمها وتحفيزه على الإلمام بلغة أهلها، ضمانا لبقاء التواصل ولو بأدنى مستوى له، في الوقت الذي يبقى تفكير السوري يدور في فلك "فن المكسب"، فحرمان السوريين لسنوات من الإدلاء بأصواتهم في حقوق مفصلية كالانتخاب والمشاركة السياسية أو حتى الخدمة، سلبهم شيئاً فشيئاً شعورهم بالانتماء إلى وطن، لتصبح قضية الانتماء -ولو بجنسية دولة أخرى- "فن مكسب" يحتاج التعاليف منها أجيالاً.

يغدو الحصول على الجنسية حلاً لكثير من المشكلات، لا بدافع "الانتماء" الغائب غالباً، ولكن على الأقل للتخلص من المشكلات المتعلقة بالحماية المؤقتة والمصير المجهول وجواز سفر للممرور و"فن للمكسب"، تقول بيان (21 عاماً) والحاصلة على الجنسية التركية منذ أشهر.

قبل حصولها على الجنسية انكبت بيان على متابعة وتحليل سير الحملات الانتخابية لمرشحي الرئاسة في تركيا، تمتت في داخلها فوز من يناصر السوريين، ويسمح لهم بالبقاء، خوفاً من إعادتها إلى سوريا أو التضييق عليها، دعت إلى الله عبر صفحتها على فيسبوك، حولت صورهم إلى صورة شخصية لبروفيلها مع كثير من الأعلام الحمراء المزينة بالهلال، إلا أنها وبعد حصولها على الجنسية التي تخولها ممارسة حقوق المواطنين الأتراك، اعتادت الصمت مع من تشاركهم حق العيش، إذ لا يتجاوز نطاق حديثها معهم طلب المساعدة بلطف (مصطنع)؛ هي لا تشعر بالانتماء، تقول إن ما يلخص حالها المثل القائل "ليس حبا في زيد ولكن كرها في عمرو".

على المواقع الإخبارية تطالعك عشرات التقارير والصفحات ترشدك لألية الحصول على الجنسية، مئات التعليقات والأسئلة والإجابات المبهمة والتندر؛ كثر يرون فيها، أي الجنسية، "كرت بلانش" يترافق بتخوف من المجتمع التركي وعاداته ولغته وتمسك عدد غير قليل منهم بفكر قومي يرفض الاندماج، آخرون حاولوا المفاضلة بين مزايا الجنسية والحماية المؤقتة، وانقسموا في ذلك بين الحقوق والواجبات، بينما اكتفى قسم آخر منهم بوضع "نقطة أو أكثر" كدليل على المتابعة والوصول إلى "ب".

وفي سبيل ذلك ازدحمت مكاتب الهجرة بتقديم الطلبات، خاصة أصحاب الشهادات العلمية، الأوفر حظاً، أو إيجاد حلول من شأنها "تقوية ملفك" للحصول على الجنسية، كإذن العمل. أما الحل الأكثر كلفة، والذي ما زال "مجهول المصير"، يكمن في إنشاء شركة، "طاولة وكريسيين وترخيص واسم" وتصبح من أصحاب الشركات، يقول أبو أحمد الذي أسس شركة لنقل البضائع إلى سوريا، إن كلفة الترخيص بلغت "ما يقارب 7000 ليرة تركية" يشترك فيها أربعة أسماء، "ييجوز تفيد وناخذ الجنسية عليها".

آلاف الطلبات العالقة في "السيستم" وفي مختلف المراحل السبعة قبل الحصول على الجنسية، ومع كل اقتراب من المرحلة الأخيرة تبدأ هواجس أخرى بالظهور، لعل أهمها بنظر فئة الشباب "الخدمة العسكرية"، يقول محمود (طالب في هندسة الاتصالات) إن تادية الخدمة العسكرية بات هاجساً يطارده في أحلامه، "خرجت من سوريا



انقلاب حافظ الأسد.. استنساخ الاستقرارات المزيفة

تمثل الانقلابات العسكرية الحدث السياسي الأكثر شيوعاً في تاريخ سوريا المعاصر، بل إنها فعلياً تمثل المحدد الأساس لديناميات السياسة السورية منذ استقلالها عن فرنسا.



■ سهيل نظام الدين

في إعادة تزوير يومية للتاريخ، من أجل مطابقة مستمرة لما يصدر عن "الأخ الأكبر"، مع تبدلات الواقع الجيوبولتيكي والاقتصادي، بل وحتى في التفاصيل اليومية التافهة، بحيث يظل ما يفعله -قولاً وعملاً- هو الحقيقة الوحيدة.

نجح حافظ الأسد -بمعايير الحكم في جمهوريات الشرق الأوسط ذات البنية العسكرية تاريخية- في الحصول على صورة الزعيم القوي لبلد مستقر، يحوز نفوذاً إقليمياً؛ غير أن هذه المعايير بذاتها وبطبيعتها، لم تكن في يوم من الأيام، قريبة من مفهوم الحاكمية المنتجة لمثل تلك التعريفات عن القوة والنفوذ والاستقرار؛ والواقع أن الأسد كان في صورة حكمه يمثل انتقالاً متكرراً بسنّاجية راديكالية، في عملية نسخ ومطابقة شوهاء لأنماط حكم في دول كانت قد مرت بتجارب مشابهة، ويمكن تلمس عدة أطوار لنماذج المحاكاة الأسديّة بعد انقلاب 1970، فهناك النموذج الناصري في أوائل السبعينات؛ والذي استمر حتى انتفاضة جماعة الأخوان المسلمين ومذابح حماة في مطلع الثمانينات، ويليّه تبني نموذج ديكتاتور رومانيا نيكولاي تشاوشيسكو، والذي تزامن مع الاستغراق في التحالف مع الاتحاد السوفيتي، وصولاً إلى نمذجة حكم يشبه جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية بعد تفكك الاتحاد، وهذه كانت تملك ميزة ضمان الحكم الوراثي، وهو الهوس الأساس الذي استبد بنظام الأسد خلال التسعينات، عبر تنصيب ابنه البكر باسل وصياً على الدولة، ثم عبر عملية تنصيب إسعافية لبشار، بعد أن قتل شقيقه بحادث سيارة.

لا يمكن الجزم بأنّ نوايا حافظ الأسد في بدايات انقلابه على رفاقه بحزب البعث، كانت تضمّر كل هذه التحولات، لكنّ البيئة السياسية في سوريا والإقليم، كانت تتيح آنذاك إمكانية تصور حكم أبدي، ويبدو أنّ ما حدث لاحقاً كان جملة استجابات آنية لتغيرات سياسية وإستراتيجية، وهو واقع يتماشى مع الوعي السياسي البدائي الذي حكمت به سوريا منذ 1958، والذي قطع مسار تطورها الطبيعي -الرأسمالي- تحت شرط تحويلها من دولة إلى وظيفة قومية.

ومع أنّ أكثر من ثلثي تاريخ سوريا "الانقلابي" دُمغ باسم آل الأسد، عبر حافظ الأسد وابنه بشار، ليكون آل الأسد قد حكموا البلاد 48 عاماً، في مقابل 23 عاماً قبلها شهدت نحو سبعة انقلابات مثبتة، وعدداً من المحاولات الفاشلة، من ضمنها ثلاث سنوات خضعت فيها سوريا لحكم جمال عبد الناصر أيام (الجمهورية العربية المتحدة).

يوحي هذا بالاستقرار، بعد فترة اضطراب، غير أنّ انقلاب حافظ الأسد عام 1970، الذي تمر ذكره هذه الأيام، لا يقارب الاستقرار إلا من زاوية انعدام وجود المجتمع في السياسة، وتآكل الحقوق، والتدليس على التاريخ الذي يقول إن انقلاب 1970 لم يكن الأخير، فالأسد انقلب داخل نظامه على نظامه غير مرة، ولطالما كان الهدف هو تثبيت الانقلاب المؤسس؛ والذي دعي بـ"الحركة التصحيحية" من ضمن نسق معتاد لدى الطغم العسكرية، بإطلاق تسميات مزيفة وفضفاضة على مشاريعها السلطوية؛ لتكريس نزعة الحكم الأبدي، تحت شعارات ذات منحى فاشي، يزورّ الفشل المستقر اقتصادياً، والهزائم المتكررة عسكرياً كإنجازات تاريخية تسوّغ القمع الوحشي الذي يصبح هو الضرورة الوحيدة العاملة في بلاد تحكم باسم الوهم، وتمجيد الوهم، وقتل كل ما يمسّ قداسة هذا الوهم.

ثمة مفصل رئيس في تحليل المرحلة الزمنية التي عاشتها -ولا تزال في الواقع- سوريا تحت حكم حافظ الأسد، وهو أنّ جلّ ما تقدمه آلة البروباغندا النظامية، إن جاز التعبير، ملفّق ويستند إلى عملية شطب منظمة للفترات السابقة على حكمه، وهي عملية تقوم على أساس توفيق قسري دائم بين الحاجات الآنية لنظام الأسد بنسخته، وبين صورة سوريا قبله.

وفي هذا المنوال السياسي، فإنّ الدولة -النظام، وعلى مدى يمتد لنحو نصف قرن، كانت تعمل في كل أجهزتها على طريقة "وزارة الحقيقة" في رواية جورج أورويل الشهيرة (1984)-



وليس صعباً بكل الأحوال، إيجاد مركز الفائق الجيوستراتيجي الذي قسم سوريا إلى واقعين متباينين، الأول محلي تفاقم اغلاقه حول ذات "القائد الضرورة"، المنتصر دائماً، تسوسه آلة تليفك لا تتوقف عن تصوير سوريا كدولة مركزية مهابة الجانب إقليمياً، وكرقم صعب دولياً؛ في حين أن الواقع الثاني كان يشير بالتضاد إلى دولة متخلصة فقيرة، شبه معزولة، حوصرت اقتصادياً غير مرة، وراعية للإرهاب، ينحصر نفوذها في إدارة علاقات أمراء الحرب في لبنان، وارتكاب المذابح ضد السوريين واللبنانيين والفلسطينيين، في سوريا ولبنان، ولا يعدو دورها العربي سوى أن تكون بديلاً في ثلاثية عربية تضمها إلى مصر والسعودية، بعد أن أخرج صدام حسين العراق من دائرة الفعل والتاريخ.

ومع أن صورة الواقع الثاني كانت تتسرب إلى الداخل، برغم كل محاولات النظام في إبقاء سوريا موصدة في وجهه، فقد كانت لعقلية الأسد البدائية قدرة تلقائية على تجاهل مثل هذا التسرب، ومتابعة اختراع سوريا الموهومة، وهذه أيضاً إحدى استنساخات حافظ الأسد من صديقه (كيم إيل سونغ)، زعيم كوريا الشمالية "المؤسس"، والذي يتشاطر الآن من حجرة تحنيطه، مع الأسد في قبره وضعيته "القائد الذي لم يمتهن".

هناك جذر بالطبع لكل هذا، ولربما سينفع البحث سريعاً في المنحى الزماني لصعود الأسد في تاريخ سوريا بإيضاح بعض الأسس التي قامت عليها دولته القتالية، وعلى عكس ما تصفه البروباغندا الرسمية، لم يكن حافظ الأسد عسكرياً ذا شأن، وهو في الواقع نال تصنيفاً سيئاً خلال دراسته في مصر، وثمة تقارير غربية، نقلاً عن تقييمات رسمية آنذاك، تشير إلى

الدروز للرجلين -باعتبارهما ضيفان- وإعلان تهديده الشهير بقصف السويداء، إذا لم يطلق حاطوم سراحهما، وهو ما حدث لاحقاً. والظاهر أن هذه الحادثة رسخت صورة الانقلاب السهل على حكم صلاح جديد، الذي كان يتسم هو الآخر بسذاجة التثوير الاشتراكي الدائم، والدولة العقائدية الفقيرة.

ثمة جذر ديني أيضاً، فالقشرة العلمانية كانت غطاء لنزوع طائفي لا يمكن تجاهله، وما توصف بمذبحة الضباط السنة 400 بعد انقلاب حاطوم، مهدت لهزيمة 1967 التي شقت حلف الأسد - جديد، وقادت إلى انقلاب 1970، والذي كانت طائفية رفعت وسلوكه الشائن أحد ركائزه؛ بدفع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والأمين العام لحزب البعث - وكلها مناصب سورية بالمناسبة- نور الدين الأتاسي إلى الاستقالة منها دفعة واحدة، لتشعر قيادة البلد فجأة، وتحقق محاولة صلاح جديد في تدارك الموقف بإقالة حافظ الأسد، وينتهي الأمر بالرجلين، جديد والأتاسي، في سجن المزة رفقة شركاء حاليين وسابقين كان جديد قد انقلب عليهم.

ثمة تفصيل حاسم في مسار سوريا بعد 1970، حكم حافظ الأسد كان كارثة اقتصادية: تفلسف القوة بالعزلة وانعدام الدين، وترييف الدولة ومعاداة الرخاء المدني العريق في سوريا، وهو استمرار لتخبط حكم البعث منذ انقلاب 1963، الذي أسس للفقر الممجد باسم أمن المذابح.

افتقاره لقدرات القيادة والتخطيط، وهذا ليس مستغرباً من شخص هزم عملياً في جميع المعارك التي خاضها كقائد عسكري -نظامي- منذ حرب 1967 إلى حرب لبنان 1982.

ويتردد أن هذه الخصيصة، هي ما دفعت معلمه وراعيه الأول صلاح جديد إلى تقديمه في هرمية الحزب، إبان سيطرته الفعلية على البلاد بعد انقلاب 1966، باعتباره "لا يمثل تهديداً، سواء لناحية إمكاناته المحدودة -في تقديرات جديد- أو لولائه الطائفي.

وحافظ الأسد أيضاً مدمن على الانقلابات، وقد شارك فعلياً في كل الانقلابات البعثية الداخلية؛ ومع أن دوره كان صغيراً في معظمها، إلا أن اللحظة الفارقة كانت حين حاصر سليم حاطوم كلاً من صلاح جديد ونور الدين الأتاسي في السويداء عام 1966، وهدد بقتلهم، ليقوم الأسد حرفياً بتعفيش حماية مشايخ



زيارة وزير خارجية الهند عام 1978 - أرشيف خاص



AFP

أرقام تبشر بـ «عودة الروح» إلى الرقة.. ولكن

أمين العاصي تقف الرقة اليوم على مفترق طرق، بعد أكثر من عام على انتزاع السيطرة عليها من تنظيم "الدولة الإسلامية"، عقب عملية عسكرية انتهت بتحول المدينة إلى أطلال تحكي فصولاً من مأساة أهلها، الذين قضى كثير منهم نحبه تحت الركام بقصف طيران التحالف الدولي الذي لم يبق ولم يذر شيئاً في المدينة، فنجحت عملية "التحرير" وماتت الرقة.

ولكن، رغم كل ما حدث في الرقة وريفها، وما حدث كان جلاً بكل المقاييس، لا تزال تترى قوافل العائدين إليها من أهلها الذين جربوا الترحال داخل سوريا وخارجها؛ وهناك أطفال يذهبون إلى المدارس في صباحات الرقة الجميلة، أي أن الأمل لم ينقطع بـ "عودة الروح" إلى المدينة التي بدأت تطل برأسها من تحت الرماد. وتؤكد مصادر محلية مطلعة أن نحو 250 ألف من أهل الرقة عاد إليها مؤخراً، وأنه تم افتتاح 5500 من محلات الرقة التجارية، و60 فرنًا، و5 مطاحن، و47 مدرسة التحق بها 38 ألف طالب. كما تم افتتاح 5 مشاف خاصة، و4 مراكز صحية، و40 صيدلية.

وكان القسم الأكبر من المدينة، وقتل أغلب أهلها، ولا تزال ترد الأنباء عن العثور على جثث تحت الركام. وانتقلت الرقة من الرايات "السود"، إلى الرايات "الصفراء"، ومن تمجيد "الخليفة" إلى تقديس "القائد"، وكان قدر الرقة أن تكون مجال تجريب وتخريب للطائرتين. فما من محافظة سورية مرّت بتحويلات دراماتيكية كما مرت الرقة، حيث انتقلت من سيطرة النظام إلى سيطرة الجيش السوري الحر في ربيع العام 2013، إلى جبهة النصرة ومن لف لفها من الفصائل، ومن ثم تنظيم "الدولة الإسلامية" في العام 2014 الذي عاث بها فساداً طيلة سنوات، إلى أن وصلت إلى "قوات سوريا الديمقراطية" في عام 2017.

تحويلات صارخة وصادمة خلال بضعة سنوات في المحافظة، التي ظلت على الهامش السوري منذ بداية تكوين الدولة السورية، ومن ثم -ومن مقدمات منطقية- أصبحت في قلب المتن السوري المعقد، والمتشابك والمفتوح على كل الاحتمالات وأكثرها سوءاً.

العائدون من الرقة إلى الجنوب التركي بعد زيارات سريعة لتفقد الخراب، يرسمون صوراً سوداء لراهن المحافظة، ولكنهم يؤكدون أن مستقبلها لن يكون كذلك. نسألهم عن معالم معينة في المدينة، عن أماكن كانت لنا فيها ذكريات صبا وشباب، يصمتون قليلاً ثم يقولون: استحال إلى دمار.

يشد التنافس اليوم على الرقة التي باتت منطقة نفوذ أمريكي عبر قوات "سوريا الديمقراطية" التي تشكل الوحدات الكردية نواتها الصلبة، والتي تحاول هي الأخرى نشر ثقافة دخيلة في مجتمع يملك الكثير من مقومات رفض العبث بهوية راسخة، طالما نهر الفرات يجري؛ وكأن الطارئ الجديد لم يتعظ بمن سبقه.

تتطلع كل أطراف الصراع على سوريا إلى الرقة، فكل طرف له مآربه ومصالحه في منطقة خرجت للتو من تجربة قاسية إلى تجربة أخرى مر عليها عام كامل، تدل المؤشرات أنها ستخرج منها أقوى مما كانت عليه، فهي لم تعد الخاصرة الرخوة في سوريا.



التيارات الجهادية... وجه آخر للاستبداد

تأثر الزعزوع

مؤخراً انتشر مقطع فيديو يظهر فيه عناصر تنظيم جهادي في الشمال السوري وهم يعذبون معتقلاً لديهم؛ لن تجد فارقاً بين ذلك المقطع وعشرات المقاطع التي تم تسريبها لعناصر قوات النظام، فاللغة نفسها واحتقار وإذلال الإنسان نفسه.

فنحن حرفياً أمام إعادة إنتاج النظام الاستبدادي، ولكن بصيغة جهادية هذه المرة؛ ولم تكن حادثة اغتيال الناشطين البارزين رائد الفارس وحمود جنيد في كفرنبل التابعة لمحافظة إدلب سوى واحدة من حوادث عديدة من إنتاج تلك الصيغة.

على مدى السنوات السبع الماضية، ارتكبت تنظيمات جهادية، وبمسميات متنوعة وفي أماكن مختلفة، جرائم كبيرة بحق ناشطين سلميين أو قادة ثوريين كانوا يواجهون نظام الأسد، ويقدر ما تبدو الصورة واضحة بالنسبة إلى السوريين، فهم لم يحتاجوا وقتاً طويلاً ليعرفوا القاتل المثلث في جريمة اغتيال الفارس وجنيد، كذلك عرفوا أن من اختطف رزان زيتونة ورفاقها في غوطة دمشق لم يكن نظام الأسد، وإنما تنظيم جهادي له أجندة خاصة مختلفة تماماً عن مشروع الثورة السورية، ولذلك فإن وجود القوى المدنية المتمسكة بأهداف الثورة سوف يظل مؤرقاً لتلك التيارات والتنظيمات، التي استطاعت أن ترتبط بدورها بقوى خارجية تقدم لها تمويلاً كبيراً، وقد استقطبت بسبب ذلك التمويل عدداً كبيراً من المقاتلين الذين سيقال عنهم لاحقاً بأنهم ليسوا سوى مرتزقة، يقاتلون لمن يدفع لهم.

في سنوات الثورة الماضية، كانت التنظيمات الجهادية أو ميليشياتها سبباً مباشراً بإفشال تجارب ثورية مدنية كثيرة، نتيجة إصرارها على الهيمنة ورفضها العمل مع أي تكتل مدني، وصولاً إلى معاداته ومحاربه؛ فتتدرج الحوادث تبعاً، ليبرز التكفير وحكم الردة سلاحين نوعيين في آلية عمل تلك المجموعات العابرة للحدود، كما حدث في مدينة البوكمال

غداة تشكيل المجلس المحلي فيها، الذي أسسه أبناء المدينة الثائرون ضد النظام، فقد رفضت جبهة النصرة في صورتها الأولى أي تعامل أو تنسيق مع ذلك المجلس، بل وشكلت لنفسها (مجلس شريعياً) خاصاً بها، ومن خلال قدرتها على استجلاب تمويل خارجي، استطاعت أن تكون أقوى مادياً وعسكرياً.

لم تلق الجبهة قبولاً اجتماعياً كبيراً، لأنها انفتحت على استخدام عناصر غير سوريين. سيكون على سبيل المثال (قاضيها) في مدينة البوكمال شخصاً عراقياً، تشير معلومات متطابقة بأنه كان فيما مضى عنصر أمن في جهازات المخابرات العراقية إبان حكم الرئيس الأسبق صدام حسين؛ ولاحقاً ستقوم جبهة النصرة بتسليم مدينة البوكمال لتنظيم داعش.

تكرر الأمر ذاته في أكثر من مكان، إذ نعرف تماماً أن أبرز قادة التنظيمات الجهادية في منطقة الجنوب السوري كانوا من غير السوريين، أردنيون أو فلسطينيون، تشير معلومات مؤكدة أنهم مرتبطون كلياً بجهاز المخابرات الأردني؛ وهم أيضاً، وكما حدث في كل مكان تقريباً، حاربوا الكيانات المدنية العاملة في الجنوب، وقاتلوا من وصلت إليه أيديهم، واستطاعوا بعد ذلك أن يفرضوا سيطرتهم.

على سبيل المثال، انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي صور ومقاطع فيديو لما قيل إنه مجلس القضاء الذي تشكل في مدينة درعا، وقد ضم ذلك المجلس أميين، وأصحاب سوابق، كان عملهم الأساسي ينصب

على تكفير أي مسعى لفرض حالة مدنية، وفي جانب الهجوم على قيم الثورة ستكون الحالة الدلالية العارية متمثلة في شخصية المحيبي في الشمال، حين أصدر الشيخ سعودي الجنسية، والقيادي البارز في جبهة النصرة، خطبة مطوثة يعتبر فيها الديمقراطية كفرة، وهو يشدد في كل مرة يظهر فيها على أن الأهم بالنسبة إليه محاربة "النصيريين"، الأمر الذي يصطدم بقيم الثورة وروحها، ويصب بقصد أو من غير قصد في مصلحة النظام، إذ يؤكد مزاعمه الكاذبة عن الثورة ومنذ أيامها الأولى، حين اعتبر على لسان مستشارة الأسد بثينة شعبان أن ما يحدث فتنة طاغية تقف خلفها تنظيمات جهادية متشددة.

ألا يؤكد لنا الحال الذي وصلنا إليه الآن ما كان مؤكداً منذ سنوات، بأن تلك التنظيمات إنما ظهرت لسبب واحد فقط، وهو ضرب الثورة السورية، وتعطيل مشروع التحرر الذي كانت تهدف إليه؟ وأن عبارة التنظيمات الشهيرة بأنها (ما جاءت إلا لنصرة هذا الدين)، يمكن وبسهولة قراءتها على حقيقتها: فهي إنما جاءت لنصرة ذلك النظام، الذي حولها وبسهولة إلى ورقة رابحة في يده، وسوف يصدقه العالم بسببها؛ وهل يحتاج العالم لأكثر من تلك الأفعال القذرة سبباً ليقول إن الثورة ماتت، وإن ما يحدث في سوريا هو حرب على الجماعات الإرهابية المتشددة؟

على أي حال، يبقى المشهد في سوريا ضبابياً، فلم يحسم الصراع بعد، إذ تستطيع الثورة أن تستعيد قدرتها على التأثير، لكنها أيضاً بحاجة لمراجعة شاملة لذلك الخلل الذي وقعت فيه، فلا يمكن أن يصدق أنها أن تياراً جهادياً، أياً كان شكله، قد يؤمن في يوم من الأيام بقيم العدالة والحرية والديمقراطية، والتي تمثل أهداف الثورة السورية وحقيقتها الوحيدة.

جاير بولسونارو.. ترامب آخر في البرازيل

«خطأ الديكتاتورية في البرازيل أنها كانت تعذب، لكنها لم تكن تقتل»

■ **مأمون حلي** فاز مؤخراً جاير بولسونارو برئاسة البرازيل لمدة أربع سنوات، وترافق هذا الفوز مع اهتمام عالمي واسع، فنظراً لمساحة البرازيل الكبيرة (8.5 مليون كم مربع) والكتلة السكانية الضخمة (210 مليون حسب إحصاءات 2017)، شكّل فوز مرشح مغرق في اليمينية، ومشير للجدل بتصريحاته المتطرفة التي تفوّق بها على أقرانه من أمثال ترامب- صدمة لكثير من المراقبين.

عن اللاجئ: كيف أمكن لتافه كان يخدم في سلاح مدفعية الميدان ومجموعات المظليين بعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية عام 1977، ويمتد فترة حكم الديكتاتورية العسكرية في بلاده (1964-1985) أن يقفز إلى سدة الحكم بعد 13 عام من حكم حزب عمالي يساري حقق للشرائح الاجتماعية الدنيا الكثير من المكاسب الصحية والتعليمية والمعاشية؟

هذا الحدث ليس وليد الصدفة، ولا يرجع إلى جهل جمهور الناخبين (كما يرى بعض "المتنورين" العرب). اعتباراً من عام 2013 بدأت شعبية حزب العمال تتراجع، نتيجة فضائح تتعلق بالفساد وتلقي رشوى طالبت عدداً من المسؤولين الحكوميين وبعض من سياسيين البرازيل من كل أحزاب البلاد الرئيسية، وشملت فيما بعد حتى الرئيس البرازيلي السابق لولا دا سيلفا، الذي يقبع في السجن حالياً، بالإضافة إلى تفشي الجريمة في المجتمع (60 ألف جريمة سنوياً). وفي نفس العام منذ خمس سنوات اندلعت احتجاجات شعبية كبيرة في سياق التحضيرات لكأس العالم، وبدأت كاحتجاجات ضد رفع أجور النقل العام، وتوسعت لتشمل الاحتجاج على سحب الاستثمار في الصحة والتعليم لصالح كأس العالم 2014. رافق هذه الاحتجاجات قمع شديد من قبل حكومة حزب العمال.

عندما تبدأ سلطة حكمت طويلاً بالكف عن تلبية الحاجات الأساسية لمواطنيها، يفتح الأفق رحباً أمام كل أشكال المغامرين والمهرجين السياسيين، وأيضاً أمام من يطمحون لخلق واقع إنساني أفضل. فبعد فشل التجربة الناصرية في مصر في تحقيق الشعارات التي كانت ترفعها ليل نهار على مسامع الجمهور العربي، جاء زمن الرئيس الراحل أنور السادات (صاحب البهلوانيات السياسية)؛ وبعد انسداد الأفق أمام حكم الرئيس مرسي، وتواطؤ كل الحاملين بمقعد السلطة (من يمين ويسار ووسط وعلى الأطراف وفي الدهاليز) مع المؤسسة العسكرية، ومع الأخطاء القاتلة التي وقع فيها نظام الحكم الشرعي، جاء زمن القزم السيسي. لكن ما يشفع للرئيس البرازيلي الجديد، الذي سيباشر مهام منصبه اعتباراً من بداية العام الجديد، هو أنه لم يأت إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري، مع أنه يمجد الانقلابات العسكرية صراحةً.

لكن، ماذا يوجد في الجعبة "الفكرية" للرئيس الجديد، وما هي أقواله "المأثورة" التي يبشر بها شعبه؟ فيما يلي مقتطفات منها تكشف عن جانب من عقل وشخصية الرئيس المنتخب، وفق ما نشرته صحف ومواقع مختلفة في أوروبا وأمريكا اللاتينية.

عن النساء: "لدي 5 أبناء، 4 منهم رجال، لكن بخصوص الخامس منهم فقد تملكنتني لحظة ضعف فجاءتني امرأة". (نيسان 2017)
"قلت إنني لن أعتصبك، لأنك دون مستوى هذا الفعل". (كانون الأول 2014، وكان يوجه كلامه للنائبة البرلمانية ماريا روزاريو، مكرراً تعليقاً أدلى به عنها أول مرة عام 2003)

عن العرق: "أنا لا أخاطر برؤية أبنائي يواعدون نساء سوداً، فقد أحسنت تربية أبنائي". (آذار 2011)
"قمت بزيارة المستوطنة كولومبو لمستوطنة أسسها المتحدرون من العبيد الهاربين، إن الأخف وزناً من المتحدرين من أفارقة هناك كان وزنه أكثر من (100) كغ، إنهم لا يفعلون أي شيء، لا أعتقد أنهم صالحون حتى للإنجاب". (نيسان 2017)



لم يعد وزيراً.. علي حيدر، الرجل الذي باع قلبه وابنه للشيطان

من وزير ل"المصالحة الوطنية" في حكومة بشار الأسد، خُفضت رتبة علي حيدر إلى رئيس هيئة ورثت الوزارة؛ خبر سار لمؤيدي النظام بعد أن ضاقوا ذرعاً ب"حيدر" منذ اليوم الأول لتعيينه في وزارة عديمة النفع، بل "متسامحة" مع من لا يستحقون سوى الموت أو النفي نازحين ولاجئين، وفق ما يرون بمعارضيه.

شاب ناجح، طالباً مجداً وبرا، يبدي تعاطفاً مع كفاح أبيه المراقب في دائرة التبغ، وأمه الخياطة، في مواجهة فقر مدقع، عُرفت به الأسرة في سبعينات وثمانينات القرن الماضي. وبتأثير من خاله تبنى حيدر أفكار الحزب "السوري القومي الاجتماعي"، وانتسب إلى صفوفه مبكراً.

سيشكل الفقر، والتفوق الدراسي كطالب طب، واعتناق إيديولوجيا ضحلة لك"سوري قومي"، إضافة إلى الأنانية والتوهم والحذر، عوامل رئيسية صنعت شخصية حيدر، الذي سيُعرف بعد افتتاحه عيادة في مدينته مصيف بطبعه الهادئ، وتكتمه وحرصه على إبقاء مسافة تفصله عن الناس، وحصص دوائر أصدقائه على زملاء المهنة و"رفقاء" الحزب.

لم يكن انحراف الرجل بعد الثورة دفع شيطان فحسب، إنما اختيار واع أصر عليه، باع في سبيله دم ابنه، ولم يلبث أن خسر مقابل البيع، وسيخسر المزيد.

وألقت بجثة إسماعيل عارياً على قارعة الطريق، وتركت جثة صديقه تتدلى من صندوق سيارة في موقع الجريمة.

لم يبال حيدر بالأدلة القاطعة التي تشير إلى القتل، بل آثر الصمت والتنعم بالامتيازات التي أتاحتها منصبه، ليأخذ بالتدريج -إن بدرجات حذر أعلى- الصورة التقليدية لوزير في دولة الأسد: شركاكت مع رجال أعمال موالين للنظام، ومع أمراء حرب من قادة الميليشيات، والعائد أموال بملايين الدولارات أودع معظمها في الخارج، وظل الباقي بإدارة شقيقته، لأن زوجته مدرسة اللغة الفرنسية ربا الخش اعتكفت بعد مقتل إسماعيل في عالمها الخاص، ونأت بنفسها عنه، وحملت المسؤولية كاملة عن دم ابنهما، ولم يعد يعنيه منصبه وأمواله والشائعات عن زواجه بامرأة أخرى.

في المراحل المبكرة من سيرته الذاتية، مثل علي بن إسماعيل حيدر نموذج

في حزيران من العام 2011 شكّل علي حيدر، طبيب العيون المتحدر من مدينة مصيف، شخصاً مناسباً ليرأس وزارة استحدثها النظام لأغراض دعائية، وتقويض حركة الاحتجاجات الشعبية المتنامية ضده. إذ كان يلزم شخص مثل حيدر، لم يتول سابقاً أي منصب، ولا ينتمي لطائفة الأسد، وليس بعثياً؛ بل رئيساً لجناح يحسب نفسه "معارضة" من الحزب "السوري القومي الاجتماعي" لتلطيف صورة النظام آنذاك؛ وفوق "مزياه" تلك، كان مضموناً في ولاءه وأدائه المنضبط، وحرفياً بتأدية الدور المرسوم له.

سرعان ما تأكّد ذلك، في اختبار كبير كان محنة عصفت بحياة حيدر وغيرتها إلى الأبد، حين اختطفت مجموعة من "شبيحة" قرية القبو الطائفيين نجله البكر إسماعيل، طالب كلية الطب، الناشط في صفوف المتظاهرين، في طريق عودته مع صديقه إلى مصيف. وقتلت الشابين،

عضو الشبكة السورية
للإعلام المطبوع

SNP

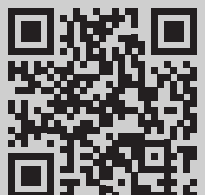
مجلة عين المدينة نصف شهرية سياسية متنوعة مُستقلة

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

[@AynAlmadina](https://twitter.com/AynAlmadina)

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

[/3aynAlmadina](https://www.facebook.com/3aynAlmadina)





خلال التصدي لهجوم داعش، شبان من بلدات، غرائج والكشكية وأبو حمام، في ريف دير الزور - عدسة أحمد - خاص عين المدينة